صورة المرأة في الشعر الشعبي الجزائري "قصيدة حيزية لمحمد بن قيطون أنموذجا"

The Image of Women in Algerian Folk Poetry: a Haizi Poem by Muhammad Ibn Qaytun as an Example

• بورخمة نورالهدى
Bourakhma Nourelhouda
مخبر تحليل الخطاب.
المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة الشيخ مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري (الجزائر)
Higher School of Teachers in Bouzareah, Sheikh Mubarak bin Muhammad Ibrahimi Al-Mili Al-Jazaery (Algeria)
nour-el-houda.bourakhma@ensb.dz

تاريخ الإرسال: 2025/09/15	تاريخ القبول: 2026/01/07	تاريخ النشر: 2026/03/02

ملخص البحث

سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية تأويل صورة المرأة في القصيدة الشعبية الجزائرية، وقد اخترنا "قصيدة حَيْزية" لمحمد بن قيطون نموذجا للدراسة، باعتبارها إحدى أشهر قصص الحب في التراث الشعبي الجزائري، وينقل محمد بن قيطون مرثيته الخالدة في لوحة فنية مأساوية جسدت حيزية كأيقونة للحب العذري ورمزا للجمال الأنثوي "الجسدي" وضحية للعشق الأليم، وسنعتمد في دراستنا هذه على آليات التحليل الثقافي، محاولين الإجابة عن الإشكالية التالية:
كيف تجلت صورة المرأة في بنية القصيدة الشعبية "حيزية"؟

الكلمات المفتاح: شعر شعبي، حيزية، موت، جسد.

Abstract :

In this research paper, we will attempt to interpret the image of women in Algerian folk poetry. We have chosen "Haiziya Poem" by Muhammad ibn Qaytun as a model for our study, as it is one of the most famous love stories in Algerian folklore. Muhammad ibn Qaytun conveys his immortal elegy in a tragic artistic painting that depicts Haiziya as an icon of platonic love, a symbol of feminine "physical" beauty, and a victim of painful love. In this study, we will rely on the mechanisms of cultural analysis, attempting to answer the following question:

• بورخمة نورالهدى: nour-el-houda.bourakhma@ensb.dz

How is the image of women manifested in the structure of the popular poem "Haiziya"?

Keywords: Folk poetry, haiziya, death, body



مقدمة:

يعد الشعر الشعبي فنا أدبيا يزخر بالعديد من المواضيع والتجارب الإنسانية، فهو وسيلة استعمله المبدع الشعبي للمقاومة وللتعبير عن القضايا السياسية والاجتماعية والعاطفية وغيرها، وهذا كونه لصيق بالشعب مرتبط بالعامة، يعبر بلغته بلهجة محلية، يتناقل بين الأفراد عبر الأفواه، لذلك فهو يسهل حفظه وترديده بطابع موسيقي غنائي، خصوصا تلك النصوص الإبداعية الخالدة مثل قصيدة حيزية "لمحمد بن قيطون التي تمثل حكاية العشق الأشهر في التراث الشعبي الجزائري بين بطلي الحب "حيزية وسعيد" والتي تنتمي لجنس المراثي، وذلك أن الشاعر عبر في نصه حزنه العميق لموت حيزية..

والمعروف أن الشعر الشعبي ترتبط نشأته منذ القدم، فهو لصيق بالفرد يعبر عن مختلف أفكاره وتصوراته بالحياة، لذلك فهذه النصوص الإبداعية الشعبية، والتي ترتبط بالثقافة الشعبية تكون نصوصا تحمل أبعادا ثقافية تعبر عن الواقع الحياتي وعلاقاته بالأفراد بصدق وعفوية.

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن مضمرات الخطاب في النص الشعري الشعبي، وذلك قصد تبيان صورة المرأة في الثقافة الشعبية الجزائرية، وقد يبدو النص الذي بين أيدينا رثاء وحزن عن فقدان المحبوبة أو تخليد لذكرى امرأة عاشقة، لكننا نتساءل هنا ألا يخفي النص نوع من التحيزات ضد الأنثى؟، ألا يقدم النص شكلا من أشكال الاختزال الجسدي للأنثى؟ هذه التساؤلات تدفعنا لدراسة النص وتحليله، محاولين الإجابة عن الإشكالية السابقة، واتبعنا في دراستنا هذه التحليل الثقافي كونه الأسلوب المناسب لهذه الدراسة.

وقبل الخوض في دراستنا سنحاول تحليل عناصر عنوان مقالنا، والذي يحتوي على عناصر أساسية من بينها: صورة المرأة والمقصود من الصورة هي الشكل، والسؤال هنا كيف تشكلت صورة المرأة؟.

أما الشعر الشعبي الجزائري، فهو معروف أنه شكل أدبي يعبر عن حياة الأفراد بأسلوب فني له مميزات خاصة تميزه عن غيره من بينها الشفاهية، العامية، الصدق، العفوية وغيرها من السمات، وقد اخترنا قصيدة حيزية "لبن قيطون" نموذجا للدراسة.

لذلك فدراستنا تتمحور حول نظرة الشعر الشعبي إلى المرأة من خلال القصيدة.

1. الشعر الشعبي من السياسي إلى الاجتماعي:

حين نتحدث عن الشعر الشعبي الجزائري، فإننا نتحدث عن نص يعبر عن مكنون شعب وتاريخ ثقافي وسياسي... مسجل في نص شفوي أو مكتوب، والشعر الشعبي كان في البداية عبارة عن وثيقة تاريخية ومرجع أساسي

استخدمته فرنسا لتدرك من خلاله الأحداث التاريخية الجزائرية، كما سجل الشعر الشعبي المواجهات المسلحة بين الجزائريين والجيش الفرنسي[1]، وفي هذا الصدد يمكننا القول إن الشعر الشعبي هو مادة أدبية، وثقافية استعملها الجزائري وسيلة لمقاومة الاحتلال الفرنسي، لذلك فقد نجد الكثير من النصوص تحمل مضامين توعوية للشعب، ومن جهة أخرى تذكر المستعمر بمقوماتها وهويتها ومبادئها التي تناهض من أجلها[2]، وقد استخدم الشعب الجزائري وسائل للمقاومة ضد الاحتلال الفرنسي للدفاع عن وطنه من بينها ما ألفه المبدع الشعبي من أشكال أدبية جاءت في مختلف النصوص الشعبية كالمثل والشعر وغيرها من الفنون...، ولعل هذا الأسلوب المقاوم كان له تأثير كبير في نشر الوعي التحرري، والفكر النضالي لدى الجماعة الشعبية، وهذا راجع لبساطة الكلمة في مختلف نصوصها الشعبية، وقربها من الشعب بسبب عفويتها وصدقها.

كما نجد في نصوص شعرية أخرى وصفا لمواجهات صدامية وأحداث ومعارك بين الطرفين انتهت بصور جنائزية ومن ذلك "ما يصوره الأخضر بن خلوف في حصار العدو تحت أسوار المدينة وهم يصرخون ويستغيثون:

حزناهم للسور ذاك اليوم تسعة آلاف بقات مغنومة
من حيط الدشرة لحيط الدم عشرة آلاف مشات محطومة
كبير الأنف الكلب راسه طار والرقبة من الحتف مقطوعة
ضربة شاطر حط بالمطيار يلغى له بأصوات منزوعة"[3]

وتظهر صور المعاناة الإنسانية في هذه القصيدة بشكل جلي من خلال الألفاظ الآتية: الدم، عشرة آلاف محطومة، الرأس طار، الرقبة مقطوعة، وهكذا ينقل الشاعر في هذه القصيدة مآسي الشعب الجسدية والمعنوية في مواجهة قوات الاحتلال الفرنسي، فقد شكّل الموت بنية هذه القصيدة، موت بالعرض البطيء، بدءا من الهلع الذي تذوقوه وأفرغوه في شكل صرخات وهم يواجهون الحصار، ومن ثم كان موتا حقيقيا بعد تنفيذهم لعمليات التعذيب. لذلك كان الشعر الشفهي تعبيرا عن أبعاد تاريخية وسياسية، كما ينقل الشعر الواقع الاجتماعي للأفراد، ويعبر عن مكنوناتهم ليحمل بدوره بعدا نفسيا وجدانيا، وهذا ما تحدث عنه عبد الحميد بورايو، فقد أشار إلى أن القصائد الشعرية الوجدانية تنقل مشاعر الأفراد، ومن ذلك مشاعر الجزائريين وموقفهم اتجاه الاحتلال الفرنسي[4]، ومن القضايا السياسية إلى القضايا الاجتماعية والعاطفية، يحمل الشعر الشعبي" قيمة معنوية وجمالية أرقى من مستوى لغة الكلام العادي بما له من ميزات تتعلق بالشكل والمضمون فمن حيث الشكل يتميز هذا الشعر بالوزن والقافية...أما من حيث المضامين فإن ارتباط الشعر الشعبي بالمناسبة (عرس، مأتم، عمل مناسبة دينية...)"[5]، أي إن الشعر الشعبي يرتبط دائما بحدث سواء أكان حدثا غنائيا أم حدثا مأساويا، وبين كل هذه المشاعر المتضاربة يكون تأثير الشعر قويا كونه "يعكس بنية المجتمع الذي أنتجه، كالنظام القبلي، ونمط المعيشة،...والعلاقات الاجتماعية"[6] كما ينقل نفسية الأفراد، ومن ذلك نذكر قصيدة حيزية التي تصنف ضمن قصائد الرثاء، وتحمل في بنيتها العميقة واقع النظام القبلي والبيئة البدوية التي ينتمي إليها الشاعر، كما تحمل بعدا نفسيا عميقا يخلد ذكرى الحبيبة، فما قصة هذه القصيدة؟ ولماذا أولاها العامة كل هذه الأهمية؟

لقد لاقت قصيدة حيزية رواجا واسعا بين المتخصصين وغير المتخصصين من العامة كونها تعبر عن حادثة مأساوية تحمل بعدا مجتمعيا يتجاوز الحالة الوجدانية الفردية للشاعر إلى اعتبارها لسان حال كل محب ومشتاق للحبيب، "فقصيدة

حيزية هي قصة واقعية دارت أحداثها بالجنوب الشرقي الجزائري بمنطقة الزيبان وبالضبط بقرية سيدي خالد سنة ...(1295هـ / 1878م). وهي من تأليف محمد بن قيطون؛ ثلاثة أيام بعد وفاة حيزية (...) وذلك بطلب من (...) سعيد الذي فجع بوفاة زوجته حيزية فأراد أن يرثيها بقصيدة تخلّد ذكراها"[7] ، ويمكننا القول إن شخصية حيزية أو النص الشعري الذي كتب في رثائها قد لقيا كل هذا الرواج بسبب واقعية القصة وشخصياتها الحقيقية، والشاهد على واقعية القصة قبر حيزية المتواجد بمقبرة الذواودة، وقد نقلت أبيات القصيدة مشاعر الحزن وألم الفراق بشكل درامي مأساوي، كما يرجع سبب شهرتها إلى غموض حادثة وفاة الشخصية المرثية "حيزية" فهناك من يعتبر موتها موتا طبيعيا، وهناك من يعتبر أنها انتحرت بسبب جبروت أبيها لأنه رفض زواجها بسعيد، وهناك من يرى أنها ماتت على يد زوجها سعيد لأنها أقدمت على خيانته، وبهذا انتشرت القصيدة وأصبحت تردد في الأعراس والحفلات في البيئة الصحراوية ثم انتقلت شهرتها إلى المستوى الوطني، حيث تغنى بها أشهر المغنيين الجزائريين من أمثال: عبد الحميد عبابسة، وراج درياسة وغيرهم[8] .

2.صور التمرد في القصيدة الشعرية:

يعكس النص الذي بين أيدينا بنية المجتمع القبلي، كما أنه يرتبط بمناسبة حزينة، ويحمل صور جنائزية، وهذا ما تطرقنا إليه سابقا حينما تحدثنا عن خصائص هذا الشعر الشفهي، لكن الملاحظ في " قصيدة حيزية" هو التمرد على قيم القبيلة بدءًا بما يظهره النص من خلال التغزل بجسد الحبيبة، والوصف الدقيق للأعضاء الأنثوية، مثل قوله :

"صدرك مثل الرخام فيه اثنين توام
من تفاح السقام مسوه يديا[9] "

ويعتبر هذا الموضوع من المواضيع الممنوعة أو الحساسة في العرف الجزائري، وخاصة البيئة البدوية المحافظة، حيث نجد الشاعر يتحدث عن الأعضاء الأنثوية (الثديين) بنظرة العاشق المتيم، إذ شعر الحبيب بملمسها حقيقة، بعد مسكها بيديه، وبالإضافة إلى هذا البيت الشعري هناك العديد من الأبيات التي تغزلت بجسد الأنثى، لذلك فالنص الشعبي الذي بين أيدينا يعد خروجا عن قيم القبيلة البدوية خاصة بسبب طبيعة المنطقة المحافظة، وأيضا لانتماء حيزية لأسرة شريفة تحتكم لسلطة الأب الذي يكون فيها الآمر والناهي لأفراد أسرته[10] ويؤدي بنا هذا الحديث إلى القول إن حيزية بدورها تمردت على قيم وعادات القبيلة حينما أحبت ابن عمها خفية دون علم أبيها، وحين نفترض أنها انتحرت لعدم الزواج من سعيد فهي هنا كذلك تمردت حينما رفضت الزواج ممن تقدموا لخطبتها فلم تخضع لأوامر أبيها حينما أمرها بالزواج بغير سعيد، كما أنها اختارت الانتحار وعدم الخضوع لسلطة الأب، وبهذا تكون شخصية حيزية أنثى متمردة على عادات القبيلة المحافظة، لكن يبقى هذا النص الشعري محافظا على المنطق الذكوري المتمركز في النصوص الشعبية من خلال البطل الملحمي والبطلة الضحية[11] ويمكننا أن نسقط هذه النظرية على النص الشعري باعتباره نصا يحمل قيم مجتمعية مثله مثل النصوص الحكائية، حيث نجد البطلة الأنثى "حيزية" تظهر كونها ضحية من خلال موتها في النهاية، في حين يظهر البطل العاشق "سعيد" و الشاعر "ابن قيطون" بصورة ملحمية بطولية، الذكر المنقذ لروحها فالأول "سعيد" نقل القصة للشاعر والثاني "ابن قيطون" خلد روحها في قصيدة رثائية مأساوية، فهذا الذكر "سعيد"، و "ابن قيطون" لم يتمكنا معا من تغيير قدر موتها لكنها خلدا ذكراها فأنقذا اسمها من الموت وأصبحت قصتها خالدة على مر الزمن.

كما أن البطل الذكوري "بن قيطون" هو بطل خارجي أي يقع خارج النص الشعري، "فابن قيطون" استغل موت حيزية واشتهر على حساب روحها لينال بعدها شهرة واسعة، حتى إن هناك من اعتبر أن نظمه لهذه القصيدة هي من قدمت له اسما في الساحة الأدبية، وبذلك يكون الذكر بطلا ملحميا حين نال شهرة واسعة بنصه المأساوي وتكون البطلة حيزية ضحية العشق والحب.

3.صورة المرأة بين الرغبة وحتمية الفناء:

نبدأ دراستنا هذه بطرح تساؤلات فنقول: ماذا لو ماتت حيزية في سن الشيخوخة وليس الشباب هل كان سعيد سيبكيها؟ وهل كان محمد بن قيطون سيخلد ذكراها في نص شعري؟ وهل كانت القصيدة ستحقق كل هذه الشهرة التي حققتها الآن؟ وهل كنا سنسمع بهذه الشخصية "حيزية" التي أصبحت رمز للجمال والحب الخالد على مر العصور؟

يمكننا الإجابة عن هذه التساؤلات بسؤال آخر لماذا يركز بن قيطون في رثائه لحيزية على جانبها الجسدي ويلغي جانبها الروحي؟ لماذا لم يبكي ذاتها الإنسانية وركز على أعضائها الجسدية فحسب؟ هل لأنه يراها جسدا خاليا من الإنسانية؟ أم أنه يتحسر على الذكر "سعيد" كونه افتقد هذا الجسد الأنثوي اليافع في مرحلة الشباب، ولم يتمتع به قدرا كافيا؟

لذلك نجد الشاعر يحاول أن يبرز جمالها الجسدي ملغيا إنسانيتها يقول:

"طلقت ممشوط طاح بارواح كي فاح
حاجب فوق اللماح نونين بريه
عينك فرد رصاص حربي في قرطاس
سوري قياس في يدين الحربيه
خدك ورد الصباح وقرنفل وضاح
والدم عليه ساح مثل الضوايه[12] "

يتغزل الشاعر هنا بشعرها المنسدل، وحاجبيها، ونظرات عيونها الحادة، وخدها الذي اعتبره منير ومضيء، والشاعر يصف جسدها ليبرز لنا جمالها من خلال شعره، ولا شك أن حديثه عن الشعر والحاجب والعيون والخد كان من أجل تبيان نعومة المرأة -حيزية- وأنوثتها، ولعل هذه النظرة الذكورية للجسد الأنثوي تطابق المقولة المتداولة في ثقافتنا العربية حيث يقال: أن نصف جمال المرأة في شعرها، ثم يكمل تغزله بها يقول:

"والفم مثيل عاج والمضحك لعاج
ريقك سي النعاج عسل الشهايه
شوف الرقبة خيار من طلعة جمار
جعبة بلار والعواقد ذهبية
صدرك مثل الرخام فيه اثنين توام
من تفاح السقام مسوه أيديا[13] "

يكمل الشاعر تغزله بالمرأة "حيزية" فيعجب بفمها، وضحكتها، ثم نراه يشتهي تذوق ريقها الذي اعتبر أنه لذيذ المذاق كحليب النعاج، ينتقل بعدها الشاعر إلى التغزل بجمال رقبتها، وجمال صدرها الذي اعتبر أن جسّه ومسّه يزيل السقم، وهذه الصورة النمطية للمرأة "تزداد رسوخا مع الزمن حيث تطل الحضارة المعاصرة لنجد المرأة في الفن الحديث وفي الدعاية والنحت والسينما وكأنها جسد فحسب"[14] ، ولم يكتف الشاعر التغزل بها قدر هذا الحد بل انتقل إلى بدنها يقول:

"بدنلك كاغط يبان القطن والكتان
ولاّ رهدان طاح ليلة ظلمية
طلقت بثرور مال ومخبل تخبال
على الجوف الدلال ثنية عن ثنية
شوف الصيقان بالخلاخل فتان
تسمع حس القران فوق الريحية[15] "

نرى الشاعر يعجب ببياض ورقة جسد حيزية ويعتبره مركزا للجمال الأنثوي، ويرافق هذا الجمال الأناقة الأنثوية التي تثير شهوة الرجل التي لا تكون إلا باستحضار التزيين بالإكسسوارات والمجوهرات التي ترمز للمنطقة الصحراوية، من حزام الصوف الملون الذي يوضع فوق الملحفة، إلى الخلخال الذي يوضع في الرجل، إلى الحذاء الخاص بالمرأة، كما يعتبر لقاءها كل صباح فأل حسن له يقول :

"نصبح في الغزال نصرش للفال
كي اللي ساعي المال وكنوز الدنيا
ما يسواشي المال نقحات الخلخال
كي نجي ع لحيال نلقى حيزية
تستحوج في المروج بخلاخيل تسوج
عقلي منها يروج قلبي واعضايا[16] "

كما يرى أن سماع الصوت الذي يحدثه خلخالها أفضل له من امتلاكه أموال وكنوز الدنيا، وهنا نتساءل من تكون المرأة بالنسبة للرجل؟ أليست هي المحبوبة والأم والزوجة والابنة والأخت، أليست هي أساس الأسرة وركيزتها، وأعطاها الإسلام حقوقا، ومكانة عظيمة في المجتمع كما ساواها مع الرجل في الإنسانية بعد أن كانت لا حقوق لها، وكانت في الجاهلية تدفن حية، لكن لماذا لم يتحدث الشاعر "بن قيطون" عن أدوارها في الحياة كزوجة أو كأخت أو كابنة... واكتفى بالحديث عن جسدها وعن تفاصيله المغرية، وكأن لها دور واحد في الحياة هو إغراء الرجل، وإبراز جمالها له، أم أنها أصبحت وسيلة يتخذها المبدع الشعبي لتزيين شعره ولإعطائه عنصرا جماليا وبعدا رمزيا، ولا يكون هذا إلا بتوظيف الجسد الأنثوي والتطرق لتفاصيله، ثم نرى الشاعر يتغزل بمشيتها المغناج قرب خيمتها، ونجد الشاعر يعجب ببياضها، وبشعرها، وبريقها، وبوجهها ويتحدث عن كل جزء فيه "الحاجب"، "العين، "الخد"، "الفم"، ويثني على جمالها

الجسدي فيصف "الرقبة"، "الصدر"، "الساقين"، كما يتغني بهنداهما، وبمشيتها، ليختزل أنوثتها في مناطق جسدية وتفاصيل محددة، وهنا نتساءل هل يمكن أن تكون المرأة أنثى خارج هذه التفاصيل؟

يمكن القول "فقدت المرأة ذاتها أو أن الثقافة سلبت منها ذاتها، حتى إن الكاتبة الروائية ماري جوردون، كتبت روايتها الأولى بضمير الغائب حكاية عن (الأنا) ولكنها لم تجرؤ على استخدام ضمير (الأنا) لأن المرأة ليست (أنا) وليست (ذاتا)، إنها ضمير غائب –فحسب[17] "

لذلك تكون المرأة –حيزية- وبما يحمل اسمها من معنى في ذاته محصورة في جمالها الجسدي لا الروحي، وبهذا يتضح لنا حب الجسد في مقابل فناء الروح أو فناء حيزية الإنسان، وبموت هذا الجسد فلا قيمة لروحها، لأنه في الحقيقة هذا الرثاء ليس لروحها أو لذاتها الإنسانية، وإنما تخليد لجسدها الفاني يقول الشاعر في هذا الصدد:

"يا حفار القبور سايس ريم البور
ما طيّحش الصخور اعلى حيزية[18] "

حيث نرى الشاعر يتحسر لوضع هذا الجسد تحت التراب لذلك فهو يدعو "حفار القبور" أن يرأف بجسدها الناعم،" ففي إنجلترا، تدعى المرأة، بصفتها امرأة وليس بصفتها فرد" [19]

لذلك ألغي جانبها الإنساني، فالمرأة غائبة في جوهرها المعنوي ويقتصر وجودها على الجسد فحسب، وتظهر صورة المرأة أيضا في هذه القصيدة رديفة للموت والغياب، وجاء والرجل (بن قيطون) متحدثا بدلا عن المرأة، لتكون مجرد موضوع يتطرق إليه الرجل، ونضع هنا تساؤلا أين محل المرأة المثقفة، الشاعرة من هذه القصيدة؟ ألم يكن من الممكن أن تتحدث بدلا عن بن قيطون؟ كما نتساءل هل كانت القصيدة ستبدو بنفس الشكل لو نظمتها امرأة؟ لكن غابت المرأة هنا عن الكتابة وغابت لغتها عن الظهور، "وكأنما المرأة تفقد أنوثتها كلما توغلت في اللغة قراءة وكتابة، ولقد قالوا لي زيادة إن العلم ضد الأنوثة والجمال"[20] لذلك تقلد الذكر دور المتحدث المرثي، وننتقل من الموت المعنوي أي غياب الأنثى المتحدثة وحضور الذكر المتحدث، -ونشير كذلك هنا أن موت المرأة –حيزية-أحيا الذكر -بن قيطون-أي ذاع صيته واشتهرت قصيدته على حساب موتها، إلى الموت الحقيقي موت حيزية، فالمرأة كانت ولازالت في مجتمعنا مصدرا للشر والشؤم وهي رديفة للموت يقول المثل العربي:

"(البنت للجوز ولا للقوز) ومعنى هذا أن البنت للزوج أو لكثيب الرمال"[21] ولو نسقط هذا المثل على القصيدة نقول إن حيزية على فرضية موتها موتا طبيعيا أو انتحارها أو اغتيالها على يد زوجها بعد خيانته، فهي بين أحد الاحتمالين إما زواجها أو موتها، وكان مصيرها الموت.

خاتمة

في الأخير نعرض مجموعة من النتائج أهمها:

-يعد الشعر الشعبي شكلا أدبيا ترتبط نشأته منذ القدم، وهو لصيق بالفرد يعبر عن أفكاره وتصوراته وفلسفته بالحياة.

-الشعر الشعبي الجزائري وسيلة من وسائل المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي.

-يعد الشاعر الشعبي لسان حال الشعب ينقل صور معاناة أفراد بيئته، ويعبر عن مكنونهم الذاتي.

-يعبر الشعر الشعبي عن القضايا السياسية، وكذا الاجتماعية والعاطفية، وذلك كونه لون أدبي ينقل تجارب الأفراد ويعبر عن نفسياتهم.

-يحمل الشعر الشعبي عبر نصه أبعادا ثقافية، ويتجسد هذا من خلال لغة نصه التي تكون واقعية وقريبة من العامية، لذلك فهي أصدق تعبيرا من غيرها، وكذلك من خلال النظرة إلى الآخر كالمرأة مثلا، وغيرها من الأبعاد الثقافية الأخرى.

-تعد قصيدة حيزية إحدى أهم القصائد في الموروث الشعبي الجزائري، التي تعبر عن البيئة البدوية بما فيها من عادات وتقاليد، كما تجسد هذه القصيدة قصة حب بقيت خالدة على مر الزمن.

-تحمل القصيدة صور التمرد في بنيتها النصية بدءًا بمبالغة الوصف والتغزل بالجسد الأنثوي.

-يظهر التمرد كذلك في القصيدة من خلال تمرد الأنثى -حيزية- على السلطة الأبوية وعلى عادات وتقاليد المنطقة.

-اختزال المرأة -حيزية- في القصيدة في صورة نمطية فجاءت كبطلة ضحية وجاء الرجل "سعيد" والشاعر "بن قيطون" بطلان خارقان كونه الأول المنقذ لروحها حين نقل قصتها للشاعر، والثاني بطلا أسطوريا كونه خلد ذكراها في قصيدته الشهيرة.

-جاءت المرأة في قصيدة حيزية مرغوبة جسديا، كما جاءت رديفة للموت والغياب والصمت في حين كان الذكر الفاعل والبارز والمتكلم.

هوامش:

[1] ينظر: عبد الحميد بورايو، (2007)، الأدب الشعبي الجزائري، د/ط، الجزائر، دار القصبة للنشر، ص 37.

[2] من بين الأشعار السياسية التي تبين هوية المجتمع الجزائري ومبادئه الثورية التي يناضل من أجلها هي المحافظة على قيم العروبة والإسلام، وكذا تفضيله الموت بطلا بدل الذل والانحناء للمستعمر، يقول النص الشعري:

تكلم الفحل عربي ما يعرفش الذل
راجل بطل أصله من الإبراهيمية
قال لهم لاش هذه هدرة ما تسواش
ما همش اكباش هذه أمة عربية

أمينة فزاري، (2010)، مناهج دراسات الأدب الشعبي، د/ط، الجزائر، دار الكتاب الحديث، ص 140.

[3] المرجع نفسه، ص 141.

[4] ينظر: عبد الحميد بورايو، مرجع سابق، ص 38.

[5] أحمد زغب، (2008)، الأدب الشعبي الدرس والتطبيق، ط1، الجزائر، مطبعة مزوار الوادي، ص 34،33.

[6] المرجع نفسه، ص34.

[7] أمينة فزاري، مرجع سابق، ص 150، ويتحدث حفناوي بعلي في مقالته عن هذه الشخصية يقول: "هي حيزية بوعكاز بنت أحمد بن الباي، من عرش الذواودة، بطن من بطون بني هلال القادمين من الحجاز وفلسطين..." حفناوي بعلي، (31 ماي 2014)، قصيدة حيزية ..قراءة سيميائية في شعرية العشق والموت، 27/ 07/ 2025، archives.univ-biskra.dz ص 3.

[8] ينظر: أحمد عاشور، د/ت، ديوان الشاعر محمد بن قيطون، جمع وشرح، د/ط، د/ب، ص 34 ومابعدها.

[9] المصدر نفسه، ص 43.

[10] قبيلة الذواودة، عرفوا بالشدة والقساوة، المجتمع القبلي لا يرحم، وأحمد باي (أب حيزية) هو الآخر لا يرحم، فقد عرف بجبروته وشجاعته، وإذا تعلق الأمر بشرف العائلة فإنه لا يرحم حتى ابنته" حفناوي بعلي، مرجع سابق، ص 6.

[11] يتحدث عبد الحميد بورايو في هذا الصدد عن الشخصية الذكورية البطلة التي تظهر في نصوص الحكايات الخرافية فقد سماه البطل الملحمي، أما الحكاية التي تستند بطولتها إلى شخصية مؤنثة فتكون البطلة حسب بروب بطلة ضحية تتعرض لسلسلة من الإعتداءات، ينظر: عبد الحميد بورايو، مرجع سابق، ص 145.

[12] أحمد عاشور، مصدر سابق، ص 42، 43.

[13] المصدر نفسه، ص 43.

[14] عبد الله محمد الغذّامي، (1995)، المرأة واللغة، د/ط، بيروت/ لبنان، المركز الثقافي العربي، ص 30.

[15] أحمد عاشور، مصدر سابق، 43، 44 ويعرض الديوان شرح كلمة البثور وهو: حزام مصنوع من الصوف، ذو أشراط ملونة ملفوفة تتمنطق به المرأة. وهو مشهور في لباس أولاد نايل، يوضع فوق الملحفة.
الريحية: الحذاء المصنوع خصيصا للمرأة، المصدر نفسه، ص 60.

[16] المصدر نفسه، ص 44.

[17] عبد الله محمد الغذّامي، مرجع سابق، ص 44.

[18] أحمد عاشور، مصدر سابق، ص 49.

[19] فرانسواز ايريتييه، 2003، ذكورة وأنوثة فكرة الاختلاف، تر: كاميليا صبحي، د/ط، د/ب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 268.

[20] عبد الله محمد الغذامي، مرجع سابق،47.

[21] عبد الله محمد الغذامي، (1991)، الكتابة ضد الكتابة، ط1، بيروت/ لبنان، دار الآداب، ص 18.

قائمة المراجع:

الكتب:

أحمد عاشور، ديوان الشاعر محمد بن قيطون، جمع وشرح، د/ب، د/ط، د/ت. .
أحمد زغب، الأدب الشعبي الدرس والتطبيق، مطبعة مزوار الوادي، الجزائر، ط1، 2008.
أمينة فزاري، مناهج دراسات الأدب الشعبي، دار الكتب الحديث، الجزائر، د/ط، 2010.
عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة ، الجزائر، د/ط ، 2007.
عبد الله محمد الغذامي، الكتابة ضد الكتابة، دار الآداب، بيروت/ لبنان، ط1، 1991.
عبد الله محمد الغذّامي، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، بيروت/ لبنان، د/ط، 1995.
فرانسواز ايريتييه، ذكورة وأنوثة فكرة الاختلاف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، تر: كاميليا صبحي، د/ب، د/ط، 2003.

المواقع الإلكترونية:

حفناوي بعلي، 31 ماي 2014، قصيدة حيزية ..قراءة سيميائية في شعرية العشق والموت، 27/ 2025/07، archives.univ-biskra.dz.